قال الشيخ بكر بن عبدالله رحمه الله

لأمر السابع عشر: تلقي العلم عن الأشياخ: الأصلُ في الطلَبِ أن يكونَ بطريقِ التلقينِ والتلَقِّي عن الأساتيذِ والْمُثَافَنَةِ للأشياخِ، والأخْذِ من أفواهِ الرجالِ لا من الصحُفِ وبُطونِ الكُتُبِ، والأَوَّلُ من بابِ أَخْذِ النَّسيبِ عن النَّسيبِ الناطِقِ، وهو الْمُعَلِّمُ، أَمَّا الثاني عن الكتابِ، فهو جَمادٌ، فأَنَّى له اتِّصَالُ النَّسَبِ؟

ومن الأشياء المهمة في المنهج: أن يُتلقى العلم عن شيخ ما أمكن ذلك ولابد؛ لأن هذه هي طريقة سلف الأمة وعلمائها، والشيخ الذي تتلقى عنه العلم لابد أن يكون قد تلقاه عن علماء، لهم سند موصول، ويكون حسن العقيدة، يعمل بما يعلم، ويتأسى بالسنة، هذا من ناحية منهج الشيخ.

وأما الاعتماد على الكتب، والذي يظن أنه سيكون طالب علم نجيب من الكتب، فهو مخطئ، صحيح أنه قد يحصل على علم، لكن لا يكون طالب علم بالمعنى الحقيقي على الكتب، وهذه قضية اضطرارية، ربما وجد في بلد لا يوجد فيها علماء ولا مشايخ، ماذا يفعل؟ هل يقول: مادام لا يوجد علماء لا أطلب علم؟ لا، اقرأ في الكتب الميسرة، أنت في أمريكا اتصل على عالم، قل له: يا شيخ! أنا أعيش في جزيرة كلها كفرة، ماذا أفعل في طلب العلم؟ وماذا تنصحني أن اقرأ؟ يعطيك بعض الكتب اقرأ فيها، يشكل عليك شيء تتصل وتسأل، هذا المتيسر بالنسبة لك، أما من يظن أنه سيكون طالب علم حقيقي بناءً على الكتب، فهذا بالتأكيد مخطئ، وهذا شيء قد بينه أهل العلم، فقال قائلهم:

يظن الغمر أن الكتب تهدي أخا فهمٍ لإدراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها غوامض حيَّرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم

و وتلتبس العلوم عليك حتى تصير أضل من تُومَ الحكيم

والعلماء كانوا يوصون بالأخذ عن أهل السنة، وترك أهل الرفض وأهل الاعتزال، وأهل الكلام والمتفلسفين، أو أخذ العلم عن الصحف، خذ العلم عن عالم تلقاه عن مشايخ ثني الركب تأدب بالأدب، لكن كما قلنا ونعيد: هذا الآن مع فشو الجهل في العالم الإسلامي فضلاً عن غيره، قد لا يتيسر وجود علماء،

شرح حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين (ص: ٨٠)

تلقى العلم عن الأشياخ لأنه يستفيد بذلك فائدتين: بل أكثر.

الفائدة الأولى: اختصار الطريق بدلا من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح ، وما سبب رجحانه؟ وما هو القول الضعيف؟ وما سبب ضعفه؟ بدلا من ذلك يمد المعلم هذه لقمة سائغة، يقول: واختلف العلماء في كذا على قولين أو ثلاثة أو أكثر ، والراجح كذا ، والدليل كذا. وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

الفائدة الثانية: السرعة. يعني سرعة الإدراك ، لأن الإنسان إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب، لأنه إذا ذهب يقرأ في الكتب ربما يردد العبارة أربع أو خمس مرات لا يفهمها، وربما فهمها أيضا على وجه خطأ غير صحيح.

الفائدة الثالثة: الرابطة بين طالب العلم ومعلمه، فيكون ارتباط بين أهل العلم من الصغر إلى الكبر.

فهذه من فوائد تلقي العلم على الأشياخ، لكن سبق أن قلنا أن الواجب أن يختار الإنسان من العلماء من هو ثقة أمين قوي أمين،

وقد قيلَ: (مَن دَخَلَ في العِلْمِ وَحْدَه، خَرَجَ وَحْدَه) أي: مَن دَخَلَ في طَلَبِ العِلْمِ بلا شيخٍ، خَرَجَ منه بلا عِلْمٍ، إذ العلْمُ صَنعةٌ، وكلُّ صَنعةٍ تَحتاجُ إلى صانعٍ، فلا بُدَّ إذَنْ لتَعَلُّمها من مُعَلِّمها الحاذِقِ وهذا يَكادُ يكونُ مَحَلَّ إجماعِ كلمةٍ من أهلِ العلمِ؛ إلا مَن شَذَّ مِثلَ: عَلِيِّ بنِ رِضوانَ الْمِصريِّ الطبيبِ وقد رَدَّ عليه علماءُ عَصْرِه ومَن بَعْدَهم.

قالَ الحافظُ الذهبيُّ رَحِمَه اللهُ تعالى في تَرجمته له: (ولم يكنْ له شيخٌ، بل اشْتَغَلَ بالأَخْذِ عن الكُتُبِ، وصَنَّفَ كتابًا في تَحصيلِ الصناعة من الكتُبِ، وأنها أَوْفَقُ من الْمُعَلِّمينَ وهذا غَلَطٌ) اهـ.

وقد بَسَطَ الصَّفَدِيُّ في (الوافي) الردَّ عليه، وعنه الزَّبِيدِيُّ في (شرْحِ الإحياءِ) عن عددٍ من العُلماءِ مُعَلِّلِينَ له بعِدَّةِ عِلَلٍ؛ منها ما قالَه ابنُ بَطْلانَ في الردِّ عليه: (السادسةُ: يُوجَدُ في الكتابِ أشياءُ تَصُدُّ عن العلْمِ، وهي مَعدومةٌ عندَ المُ◌ُعَلِّم وهي التصحيفُ العارضُ من اشتباهِ الحروفِ مع عَدَمِ اللفظِ، والغلَطِ بزَوَغَانِ البصَرِ، وقِلَّةِ الْخِبرةِ بالإعرابِ أو فَسادِ الموجودِ منه وإصلاحِ الكتابِ وكتابةِ ما لا يُقْرَأُ وقِراءةِ ما لا يُكْتَبُ ومَذهبِ صاحبِ الكِتابِ وسُقْمِ النَّسْخِ ورَداءةِ النقْلِ، وإدماجِ القارئِ مواضِعَ الْمَقاطِعِ وخلْطِ مَبادئِ التعليمِ وذِكْرِ ألفاظٍ مُصْطَلَحٍ عليها في تلك الصناعةِ وألفاظٍ يُونانيَّةٍ لم يُخَرِّجْها الناقلُ من اللغةِ؛ كالنَّوْروسِ، فهذه كلُّها مُعَوِّقَةٌ عن العِلْمِ وقد استراحَ المتعلِّمُ من تَكَلُّفِها عندَ قراءته على الْمُعَلِّمِ، وإذا كان الأَمْرُ على هذه الصورةِ فالقراءةُ على العُلماءِ أَجْدَى وأَفْضَلُ من قراءةِ الإنسانِ لنفسِه وهو ما أَرَدْنَا بيانَه... قالَ الصَّفَدِيُّ: ولهذا قالَ العُلماءُ: لا تأْخُذِ العِلْمَ من صَحَفِيٍّ ولا مُصْحَفِيٍّ؛ يعني: لا تَقرأ القُرآنَ على مَن قَرَأَ من الْمُصْحَفِ ولا الحديثَ وغيرَه على مَن أَخَذَ ذلك من الصُّحُفِ) اهـ

والدليلُ المادِّيُّ القائمُ على بُطلانِ نَظرةِ ابنِ رِضوانَ أنك تَرَى آلافَ التراجمِ والسِّيَرِ على اختلافِ الأزمانِ ومَرِّ الأعصارِ وتَنَوُّعِ المعارفِ، مشْحُونةً بتَسميةِ الشيوخِ والتلاميذِ ومُسْتَقِلٌّ من ذلك ومُسْتَكْثِرٌ، وانْظُرْ شَذْرَةً من المكْثِرِينَ عن الشيوخِ حتى بَلَغَ بعضُهم الأُلوفَ كما في (الْعُزَّابِ) من (الإسفارِ) لرَاقِمِه.

وكان أبو حَيَّانَ محمَّدُ يوسفَ الأندلسيُّ (المتوفى سنةَ ٧٤٥ هـ) إذا ذُكِرَ عندَه ابنُ مالكٍ؛ يقولُ: (أينَ شُيوخُه؟) .

وقالَ الوليدُ: كان الأوزاعيُّ يَقولُ: كان هذا العِلْمُ كَرِيمًا يَتَلقاهُ الرجالُ بينَهم فلمَّا دَخَلَت الكُتُبُ؛ دَخَلَ فيه غيرُ أَهْلِه. ورَوَى مِثْلَها ابنُ المبارَكِ عن الأَوْزَاعِيِّ. ولا ريبَ أنَّ الأَخْذَ من الصُّحُفِ وبالإجازةِ يَقَعُ فيه خَلَلٌ، ولا سِيَّمَا في ذلك العَصْرِ، حيث لم يكنْ بعدُ نَقْطٌ ولا شَكْلٌ فتَتَصَحَّفُ الكلمةُ بما يُحيلُ المعنى ولا يَقَعُ مثلُ ذلك في الأَخْذِ من أفواهِ الرجالِ، وكذلك التحديثُ من الْحِفْظِ يَقَعُ فيه الوَهْمُ؛ بخِلافِ الروايةِ من كتابٍ مُحَرَّرٍ) اهـ.

ولابنِ خَلدونَ مَبحثٌ نَفيسٌ في هذا؛ كما في (الْمُقَدِّمَة) له.

ولبعضِهم:

مَن لم يُشَافِهْ عالِمًا بأُصولِه = فيَقِينُه في الْمُشكِلاتِ ظُنُونُ

وكان أبو حَيَّانَ كثيرًا ما يُنْشِدُ:

يَظُنُّ الغَمْرُ أنَّ الكُتْبَ تَهْدِي= أَخَا فَهْمٍ لإدراكِ العلومِ

وما يَدْرِي الْجَهولُ بأنَّ فيها = غوامضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إذا رُمْتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ = ضَلَلْتَ عن الصراطِ المستقيمِ

وتَلْتَبِسُ الأمورُ عليك حتى= تصيرَ أَضَلَّ من (تُومَا الحكيم)

ذكر المؤلف ها هنا الأدب السابع عشر من آداب طالب العلم وهو أن يتلقى طالب العلم ، العلم عن الأشياخ ، وذلك أنّ هذا العلم ينقله سلف الأمة إلى خلفها بالنقل والرواية ، و لذلك فإنّ من أدب طلب العلم أخذه عن العلماء والأشياخ لا تلقيه من الكتب ، وذلك لعدد من الأسباب :

أول هذه الأسباب : أنّ ما يكتب في الكتب تختلف قدرات الناس في معرفة كيفية تشكيله و قراءته ، فإذا درسه على معلم نبّه إلى الأخطاء التي تقع في طريقة نطق هذه الكلمات ، ومثال هذا : عند قراءتنا لهذا الكتاب نجد أننا نخطئ في طريقة نطق بعض الكلمات ، فيأتي الشيخ و ينبه عليها سواء نبه عليها مباشرة أو أعاد نطقها مرة أخرى ، بحيث تستقر الكلمة على طريقة نطق الشيخ ، وضربنا لذلك أمثلة.

الأمر الثاني : التمييز بين أنواع الروايات فإنّ الروايات منها ما هو صحيح ومنها ما ليس بكذلك.

الأمر الثالث : متعلق بالقدرة على فهم التراتيب من الكلام ، فإنّ المرء إذا قرأ الكتاب وحده قد يُدخل جملة في جملة ، ومن ثَمَّ ينتقض عليه المعنى الذي أراده المؤلف.

الأمر الرابع : أنّ الطالب إذا تلقى العلم عن شيخه استفاد من سمته و من هديه ، وبالتالي أثّر في سلوكه.

الأمر الخامس : أنَّ الطالب قد يشكل عليه مسائل ، فإذا كان الشيخ عنده سأله عن تلك المسائل المشكلة ، وإذا لم يكن عنده شيخ فإنه حينئذ لن يتمكن من إتقان جميع الكتاب ، وكم من مرة وجدنا أخطاء مطبعية في الكتب ، فإذا كان عند الإنسان شيخ أرشده إلى الخطأ في ذلك الكتاب ، و إذا لم يكن عنده شيخ فإنه قد يظن أنَّ ما في الكتاب صواب ، وهو من الأخطاء الإملائية أو الطباعية.

الأمر السادس : أنَّ هناك مصطلحات تختلف ما بين موطن وموطن آخر ، فإذا قرأ الإنسان العلم على شيخ بيَّن له معاني تلك المصطلحات .

قال المؤلف : (الأصل في الطلب) الأصل يراد به القاعدة المستمرة ، (أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ) جمع أستاذ ، (والمثافنة للأشياخ) بأن يأتي عندهم قريبا منهم حتى يكون ثِفنُه قريب من ثِفنِهِ ، و الثفن في الأصل ما يكون في صدر البعير من الجسم البارز في صدره ، قال : (والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف) جمع صحيفة ، (وبطون الكتب والأوّل الذي هو التلقي عن الأشياخ ، من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق وهو المعلم) لأنّ الحي إذا أخذ عن الحي استفاد منه حياة ، (أما الثاني فهو أخذ عن الكتاب وهو جماد) ومن ثَمّ لا يكون هناك اتصال بالنسب ، والمراد بالنسب هنا سلسلة الرواية والإسناد ، لأنك إذا أخذت الكتاب من شيخك اتصل الإسناد حتى يصل إلى الشيخ الأعلى قال : (من دخل في العلم وحده) أي بلا شيخ ، (خرج منه وحده) أي بلا علم ، لو دخلت في المطبخ وأنت لا تحسن الطبخ ووجدت أنواع ما يجهز به الطعام ، حينئذ لن تتمكن من الطبخ إلا أن يكون عندك طباخ ماهر يرشدك إلى كيفية الطبخ ، هكذا في العلم عندك مؤلفات وعندك كتابات متنوعة ، ما هو الأنسب لك ؟ وكيف تتعلم ؟ وما الكتب المناسبة لك ؟ وما هي مبادئ العلوم التي يحسن أن تبتدئ بها ؟ لا يمكن أن تعرفه بنفسك.

ابن رضوان عالم من علماء مصر طبيب يقول : بأنه يُرَغِّب في تحصيل العلم من الكتب ، ولذلك رد العلماء عليه ، ومن هنا قال عنه الذهبي : (لم يكن له شيخ) ، (صَنَّفَ كتاب في تحصيل الصناعة من الكتب وأنها أوفق من المعلمين) وهذه الطريقة (غلط) ، ولعل مثل ذلك إنما يكون في أصحاب المهن والعلوم الأخرى ، ابن رضوان هذا طبيب ولذلك يظن أنه سيحصل العلم الشرعي بطريق القراءة من الكتب ، الزَّبيدي شرح الإحياء وهو من علماء اليمن وله تحقيقات وكتب كثيرة ، قال : (في الكتاب أشياء تصد عن العلم) من مثل الأخطاء المطبعية وأخطاء النسّاخ ، واشتباه الحروف بعضها مع بعض ، واحتمالية زوغان البصر تجد الإنسان يقرأ ثم

يطمر سطرا من زوغان بصره ، وقد يكون يقرأ ويجد كلمة فينتقل إلى نفس الكلمة في السطر الذي بعدها ، ومن ثَمَّ يؤدي إلى معنى مغاير للمعنى الذي يريده المؤلف.

قال كذلك قد يكون في الكتاب : (مذهب صاحب الكتاب) وسيتبعه المقلد القارئ بدون أن يعرف هل هو مذهب صواب أو مذهب خطأ ، وقد يكون في النقولات شيء من الملحوظات فكم من عالم ومؤلف وفقيه أراد أن ينقل من غيره فحصل تغيير فيما يُنقل ، وكذلك قد (يدمج القارئ مواضع المقاطع) فيٌدخل جملة في جملة ، (ويخلط في مبادئ التعليم) ، وذكر أيضا المصطلحات التي يمكن أن تكون خاصة بفن فيجهلها القارئ فيكون ذلك صادا له عن الاستمرار في التعلم بينما من كان عنده معلم فإنه لا تنطلي عليه هذه الأمور ، قال العلماء : (لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي) ، الصحفي : من أخذ علمه من الصحف ، و المصحفي : من أخذ قراءته من المصحف ، ولابد من شيخ يقرأ الإنسان عليه ، ولذلك تواتر عند علماء الأمة أنَّ الإنسان يبحث عن أشياخ له ، وقد ألّف جماعات كثر مؤلفات في معاجم شيوخهم ، وقد أوصل بعضهم شيوخه إلى ألف شيخ.

الفصلُ الثالثُ

أدَبُ الطالبِ مع شيخِه

١٨ – رعايةُ حُرْمَةِ الشيخِ :

بما أنَّ العلْمَ لا يُؤْخَذُ ابتداءً من الكُتُبِ بل لا بُدَّ من شيخٍ تُتْقِنُ عليه مفاتيحَ الطلَبِ ؛ لتَأْمَنَ من العِثارِ والزَّلَلِ ؛ فعليك إذنْ بالتَّحَلِّي برعايةِ حُرْمَتِه ؛ فإنَّ ذلك عُنوانُ النجاحِ والفلاحِ والتحصيلِ والتوفيقِ ، فليكنْ شيخُك مَحَلَّ إجلالٍ منك وإكرامٍ وتقديرٍ وتَلَطُّفٍ ، فخُذْ بِمَجَامِعِ الآدابِ مع شيخِك في جلوسِك معه ، والتحَدُّثِ إليه ، وحسْنِ السؤالِ والاستماعِ ، وحُسْنِ الأدَبِ في تَصَفُّحِ الكتابِ أمامَه ومع الكتابِ وتَرْكِ التطاوُلِ والمماراةِ أمامَه ، وعدَمِ التقَدُّمِ عليه بكلامٍ أو مَسيرٍ أو إكثارِ الكلامِ عندَه ، أو مُداخَلَتِه في حديثِه ودَرْسِه بكلامٍ منك ، أو الإلحاحِ عليه في جَوابٍ ؛ متَجَنِّبًا الإكثارَ من السؤالِ ، لا سِيَّمَا مع شُهودِ الملإِ ، فإنَّ هذا يُوجِبُ لك الغُرورَ وله الْمَلَلَ .

ولا تُنادِيه باسْمِه مُجَرَّدًا ، أو مع لَقَبِه كقولِك : يا شيخَ فلان ! بل قلْ : يا شيخي ! أو يا شَيْخَنَا ! فلا تُسَمِّهِ ؛ فإنه أَرْفَعُ في الأَدَبِ ، ولا تُخاطِبْهُ بتاءِ الخطابِ ، أو تُنادِيه من بُعْدٍ من غيرِ اضطرارٍ .

وانْظُرْ ما ذَكَرَه اللهُ تعالى من الدَّلالةِ على الأَدَبِ مع مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولِه : { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ... } الآيةُ .

وكما لا يَليقُ أن تَقولَ لوالدِك ذي الأُبُوَّةِ الطينيَّةِ : (يا فلانُ) أو : (يا وَالِدِي فلان) فلا يَجْمُلُ بك مع شيخِك .

والْتَزِمْ تَوقيرَ المجلسِ وإظهارَ السرورِ من الدَّرْسِ والإفادةِ به : وإذا بدا لك خطأٌ من الشيخِ ، أو وَهْمٌ فلا يُسْقِطُه ذلك من عَيْنِكَ فإنه سَبَبٌ لِحِرْمَانِكَ من علْمِه ، ومَن ذا الذي يَنْجُو من الخطأِ سالِمًا ؟ .

واحْذَرْ أن تُمارِسَ معه ما يُضْجِرُه ومنه ما يُسَمِّيهِ الْمُوَلَّدُون : (حربَ الأعصابِ) بمعنى : امتحانَ الشيخِ على القُدرةِ العِلميَّةِ والتَّحَمُّلِ .

وإذا بَدَا لك الانتقالُ إلى شيخٍ آخَرَ ؛ فاستأْذِنْه بذلك ؛ فإنه أَدْعَى لِحُرْمَتِه وأَمْلَكُ لقَلْبِه في مَحَبَّتِك والْعَطْفِ عليكَ .

إلى آخرِ جُملةٍ من الآدابِ يَعْرِفُها بالطبْعِ كلُّ مُوَفَّقٍ مُبارَكٍ وفاءً لحقِّ شيخك في (أُبُوَّتِه الدينيَّةِ) أو ما تُسَمِّيه بعضُ القوانينِ باسمِ (الرَّضاعِ الأدبيِّ) وتَسميةُ بعضِ العُلماءِ له (الأبُوَّةَ الدينيَّةَ) أَلْيَقُ ؛ وتَرْكُه أَنْسَبُ .

واعْلَمْ أنه بِقَدْرِ رِعايةِ حُرْمَتِه يكونُ النجاحُ والفلاحُ ، وبِقَدْرِ الْفَوْتِ يكونُ من عَلاماتِ الإخْفَاقِ .

.... تَنبيهٌ مُهِمٌّ :

أُعيذُك باللهِ من صَنيعِ الأعاجمِ ، والطُّرُقِيَّةِ ، والْمُبتدِعَةِ الْخَلَفِيَّةِ ، من الْخُضوعِ الخارجِ عن آدابِ الشرْعِ ، من لَحْسِ الأيدِي ، وتَقبيلِ الأكتافِ والقبْضِ على اليمينِ باليمينِ والشمالِ عندَ السلامِ ؛ كحالِ تَوَدُّدِ الكِبارِ للأطفالِ ، والانحناءِ عندَ السلامِ ، واستعمالِ الألفاظِ الرَّخوةِ المتخاذِلَةِ : سَيِّدِي ، مَوْلَاي ، ونحوِها من أَلفاظِ الْخَدَمِ والعَبيدِ .

وانْظُرْ ما يَقولُه العَلَّامَةُ السَّلفيُّ الشيخُ محمَّدٌ البشيرُ الإبراهيميُّ الجزائريُّ (م سنةَ ١٣٨٠هـ) رَحِمَه اللهُ تعالى في (البصائرِ)؛ فإنه فائقُ السِّيَاقِ .

هذا هو الأدب الثامن عشر من آداب طالب العلم وهو من أدب الطالب مع شيخه ، وتقدم معنا قسمان :

الأول : أدب الطالب فيما يتعلق بنفسه.

الثاني : الآداب المتعلقة بكيفية الطلب والتلقي.

الأول من آداب الطالب مع شيخه : رعاية حرمة الشيخ ، وذلك لأنّ الله جل وعلا رفع من شأن المعلمين وهذا معلم فهو يعلمك ، فقد استفدت منه علما فهو صاحب فضل عليك ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ثم الأمر الآخر أنّ الشيخ يبث العلم ، فعندما تُحفظ حرمته وتُراعى يكون ذلك سببا من أسباب تلقي العلم عنه ، فإذا لم تُراعى حرمته وتمّ احتقاره أو إهماله لم يعرفه الناس ، ولم يأخذوا من علمه ، ويختار الشيخ المتقن ليأمن من العثار ويأمن من الزلل ، قال المؤلف : (فليكن شيخك محل إجلال منك) يعني تقدير واحترام (وإكرام وتقدير وتلطف) والتقدير معرفة المقدار ، والتلطف يعني تسهيل النفس وتخفيضها عند مقابلته ، ويكون هذا في طريقة الجلوس وطريقة الحديث وفي اختيار الأسئلة ، وفي (حسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه) ، وفي(ترك التطاول) يعني معرفة أنّ للنفس فضلا على الآخرين ، أو (و ترك المماراة) أيضا وهو الحديث العقيم والمناقشة غير الهادفة ، وكذلك من آداب التلميذ مع شيخه (عدم التقدم عليه بكلام) إذا جاءت مسألة ينتظر فلا يتكلم حتى يتكلم شيخه ، وإذا بدأ في المجلس يبتدئ الشيخ قبل تلميذه ، وهكذا أيضا في المسير فلا يتقدم عليه بالسير ، (ولا يكثر الكلام عند شيخه) لئلا يشوش عليه ، ولئلا يكون صارفا لفهمه عن فهم كلام شيخه ، قال وعدم التقدم عليه يشمل أيضا عدم معارضته والرد عليه أو (الإلحاح عليه في جواب) إذا سُئل فسكت فإنه يحافظ الأدب معه فلا يسأل مرة أخرى ، ويتجنب (الإكثار من السؤال) لعله أن يأتي في كلام شيخه فيما يأتي ، خصوصا إذا كان هناك جماعة يشاهدون الموقف ، فإنه حينئذ يكون حفظ الأدب مع الشيخ أولى ، إذا لم يحافظ الإنسان على هذه الآداب فقد يظن أنّ في نفسه زودة و أنه عنده علم ليس عند شيخه ، فيورثه ذلك الغرور ، و يورث الشيخ الملل منه.

وهكذا يناديه بما يكون أحب إلى نفسه من الأسماء التي فيها إجلال له ومعرفة لحقه ، كذلك يجتنب الطالب أن ينادى على شيخه من مكان بعيد ، وإذا كان الشيخ بعيدا فلا تناده حتى تقرب منه فتكلمه فتناديه ، وذلك لأنه إذا كان بعيدا فناديته قد يكون ذلك سببا من أسباب جرأة الناس عليه ، وهكذا أيضا

إذا خاطبه الإنسان عن بعد ، فإنه سيتطلب منه أن يرفع صوته بالجواب ، وهذا من الأمور غير المستحسنة عند العرب ، هكذا أيضا (لا تناده باسمه) لأنه لا يحسن أن تنادي والدك باسمه وهكذا أيضا الأب من التعلم.

كذلك مجلس الشيخ يحفظ الإنسان الأدب فيه ويوقره ويظهر للشيخ ولغيره أنه قد استفاد من هذا الدرس وأنه فرحٌ به وهكذا ،كذلك إذا وقع من الشيخ خطأ لأنّ الشيخ غير معصوم ، فحينئذ لا ينبغي به أن يشهر به ، ولا أن يسقط من عينه فإنّ هذا سبب من أسباب الحرمان من العلم ، لأنّ ما من أحد إلا و قد يقع في الزلل ، وهكذا أيضا يجتنب الإنسان ما يؤدي إلى نُفرة الشيخ وعدم تقبله الكلام منك ، ولهذا صور :

الصورة الأولى : مطالبة الشيخ بأن يتحدث في مسائل لم يجتهد فيها ، والإلحاح عليه في ذلك.

الثاني : تكرار السؤال على الشيخ ليتحدث في أمور يرى الشيخ عدم الجواب فيها من باب السياسة الشرعية ، كذلك إذا كان الشيخ يخشى من عقوبة قد لا يتكلم ، إما عاقبة سيئة للناس أو يوجد خصومة بينهم فالشيخ سيترك ذلك ، فعندما تلح لطلب الحديث منه فإنك تحرجه في مثل ذلك ، ومما ذكره الشيخ هنا أن يقوم التلاميذ بامتحان شيخهم ليعرفوا قدرته على التحمل أو يصبر أو ما يصبر فهذا أيضا يخالف الأدب ، فإن قال قائل : قد وجد اختبارات للمحدثين فيما مضى فتلك الإختبارات ليس من تلميذ لشيخه ، ثم إنّ تلك الامتحانات لفائدة بمعرفة الصادق من الكاذب في الرواية ، فهذه الإختبارات توصل طالب العلم إلى درجة التلقي منه ، وأما من ثبت تحريته قبل ذلك فلا يحسن أن تطرح عليه هذه المسائل المشكلة ، نعم .

قال : (وإذا بدا لك الانتقال من شيخ إلى شيخ آخر) فاستأذن الشيخ الأول حفاظا لحرمته ، ولتبقى المودة بينك وبين شيخك ويستمر في العطف عليك ، ذكر المؤلف ماذا يسمى المعلم ؟ بعضهم يقول : (أبوك من الرضاعة الأدبية) ، وبعضهم يقول : (هذه الأبوة الدينية) هذا كلام في المصطلحات ، قال المؤلف : (اعلم أنه بقدر رعاية حرمة الشيخ) يكون نجاحك وفلاحك ، وكلما تركت حرمة الشيخ أدى بك ذلك إلى الإخفاق وعدم الاستفادة ، وهناك ثلاثة إن لم يكرموا لم يعطوا منهم : المعلم ، نعم.

ثم قال : وانتبه فإنّ كونك تحفظ الأدب مع الشيخ لا يعني أن تغلوَ فيه من مثل لحس يده أو تقبيلها ، أو تقبيل الكتف فهذه كلها ليست مشروعة ، ولا يقال بأنّ هذا من التلقي على المشايخ ، لأنّ هذه الأفعال غير محمودة في الشرع ومثله أيضا الانحناء عند السلام والتخضع في الكلام ، نعم.

<u>الأمر التاسع عشر : رأسُ مالِك – أيُّها الطالِبُ – من شَيْخِكَ :</u>

<u>القدوةُ بصالحِ أخلاقِه وكريمِ شمائِله ، أمَّا التلَقِّي والتلقينُ ، فهو رِبْحٌ زائدٌ ، لكن لا يَأْخُذْك الاندفاعُ في مَحَبَّةِ شيخِك فتَقَعَ في الشناعةِ من حيث لا تَدْرِي وكلُّ مَن يَنْظُرُ إليك يَدْرِي ، فلا تُقَلِّدْه بصوتٍ ونَغَمَةٍ ، ولا مِشْيَةٍ وحركةٍ وهَيْئَةٍ ؛ فإنه إنما صارَ شَيْخًا جَليلًا بتلك ، فلا تَسْقُطْ أنت بالتَّبَعِيَّةِ له في هذه .</u>

هذه هي الصفة التاسعة عشرة من صفات طالب العلم أن يعرف الطالب أنّ الشيخ هو الذي استفاد منه العلم ، ومن هنا فإنه يتلقى العلم منه ، وهكذا يستفيد من أخلاقه فيقتدي به فيها ، لكن يجب على الطالب أن يقتلع الشناعة ، وأن لا يُقدم على أمور مخالفة ، و من أمثلة ذلك :

أولها : الحديث في بقية الشيوخ لأنهم ليسوا شيوخا لك ، ولأنك تظنهم أنهم ينافسون شيخك هذا حرام ولا يجوز ، لأنّ عمل العلماء والمشايخ مبني على التعاون ، وبالتالي كل منهم يعاون الآخر ، فعندما يطعن بعضهم في بعض أو يريد إلغاء قدرته في ذلك فإنه يخالف الشرع .

الأمر الثاني : مما يلاحظ في هذا أنّ محبة الشيخ أمر مطلوب ، لأنه صاحب فضل عليك فتتقرب لله بمحبته محبة زائدة عن محبتك لأفراد المؤمنين.

الأمر الثالث : أن تلاحظ أن لا توصلك هذه المحبة إلى تقليده في الصوت أو تقليده في المزامير أو نحو ذلك.

الأمر الرابع : أنّ التقليد يكون في العلم والتعلم والتعليم والعمل به ، وأما الصورة الظاهرة فإنه لا يقلد فيها ، فإنه إنما صار شيخا بعلمه ، وعمله ، وتعلمه ، وتعليمه فيقتدى به في ذلك ، وأما طريقة مشيته ، وطريقة كتابته ، وحركة يديه عند الدرس فهذه لم تجعله شيخا ، إنما الذي جعله شيخا هو العلم ، نعم.

الأمر العشرون: نشاطُ الشيخِ في دَرْسه :

يكونُ على قَدْرِ مَدارِكِ الطالبِ في استماعِه ، وجَمْعِ نفسه وتَفَاعُلِ أحاسيسه مع شيخِه في دَرْسِه ، ولهذا فاحْذَرْ أن تكونَ وسيلةَ قَطْعٍ لعِلْمِه بالكَسَلِ والفُتورِ والاتِّكاءِ وانصرافِ الذهْنِ وفُتورِه .

قالَ الْخَطيبُ البَغداديُّ رَحِمَه اللهُ تعالى : (حقُّ الفائدةِ أن لا تُسَاقَ إلا إلى مُبْتَغِيهَا ، ولا تُعْرَضَ إلا على الراغبِ فيها ، فإذا رَأَى الْمُحَدِّثُ بعضَ الفُتورِ من المستَمِعِ فليسكُتْ ، فإنَّ بعضَ الأُدباءِ قالَ : نَشاطُ القائلِ على قَدْرِ فَهْمِ الْمُسْتَمِعِ) .

ثم ساقَ بسَنَدِه عن زيدِ بنِ وَهْبٍ ، قال : (قالَ عبدُ اللهِ : حَدِّث القوْمَ ما رَمَقوكَ بأبصارِهم ، فإذا رأيتَ منهم فَتْرَةً فانْزِعْ). اهـ .

هذه من صفات الطالب أو من صفات المعلم بحيث يلاحظ أحوال الطلاب ، و يلاحظ تفاعلهم معه ، فيجعل ما يلقيه من المعلومات على مقدار ذلك ، وفي ثنايا هذا النهي عمّا يشغل الشيخ حال الدرس ، فإذا كانت كثرة حركتك تشغله عن الدرس وإكماله فاجتنبها ، وهكذا نوم الإنسان في درسه قد يؤدي إلى فتور شيخه ، وبالتالي يجب عليه أن يحاول ما يستطيع أن لا يأتيَه ذلك أثناء درسه ، هكذا شرود الذهن فإنّ شرود ذهن الطالب يجعل المعلم لا يتقن تعليمه ، لأنه سيشتغل بما في ذهنه وسيشتغل بمحاولة إعادته إلى درسه ، بقي هنا مسألة وهي أنّ من جاءك للتعلم فأنت تبذله له لأنه راغب مقبل عليه ، لكن من لم يأتك هل تقبل عليه فتعلمه ؟ ، فإن كان في الدعوة فلا إشكال أنه يدعى فقد كان النبي ﷺ يغشى الناس في منازلهم ، قال المؤلف : (فإذا رأى المحدث بعض الفتور) وهو الانقطاع والعجز ، (من المستمع فليسكت) الشيخ ، لأنه إذا كان متعبا فقد يفهم من كلام شيخه ما لا يريده الشيخ ، نعم

الأمر الحادي والعشرون: الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة

وهي تَختلِفُ من شيخٍ إلى آخَرَ فافْهَمْ . ولهذا أدَبٌ وشَرْطٌ : أمَّا الأَدَبُ ؛ فيَنبغي لك أن تُعْلِمَ شيخَك أنك ستَكْتُبُ أو كَتَبْتَ ما سَمِعْتَهُ مُذاكَرَةً . وأَمَّا الشرْطُ ؛ فتُشيرُ إلى أنك كتَبْتَه من سَماعِه من دَرْسِه .

هذا هو الأدب الحادي والعشرون الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة ، وذلك لأنك إذا كتبت مع الشيخ اشتغلت يدك بالكتابة ، واشتغل عينك بالمشاهدة ، واشتغلت أذنك بالسماع ، فكان ذلك مؤديا إلى حفظ ما يلقيه الشيخ لأنك قد استخدمت فيه جوارح مختلفة ، وهذا يختلف باختلاف الشيخ فمنهم من لا يعلق على الكتاب وبالتالي لا تتمكن من الكتابة ، ومنهم من يكون تعليقه على المواطن المشكلة ، ومنهم من يزيد إلى الأماكن الغامضة وهكذا ، ولذلك لا يمكن إعطاء حكم واحد يشمل الجميع فيما يكتبه التلاميذ عن شيخهم حال الدرس ، وهذا ينبغي للطالب معه أن يخبر الأستاذ ويقول : أستأذنك في الكتابة

وهذا من الآداب المستحبة ، قال المؤلف : (وأما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه في درسه أو من درسه) فتقول : أنا سمعته يقوله حفظا ، وأنا سمعته يقوله من كتابه ، فيبين أحوال الشيخ حال الرواية ، نعم.